فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ ٱلْقَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ الحزب ٥٧
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

معانى الكلمات :

زلفة : قريبا منهم .

سيئت : كتبت واسودت غما وذلا .

تدعون : تطلبون أن يعجل لكم استهزاء .

يجير : ينجى .

بماء معين : ظاهر جارٍ .

ممنون : مقطوع .

المفتون : المجنون .

تدهن : تصانع .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حقيقة القدرة المطلقة ، وحقيقة الهيمنة المطلقة .

٢ ـ أن نتعرف على شىء من عروض المشركين على النبى ﷺ للالتقاء فى منتصف الطريق .

٣ ـ أن نستشعر قيمة العنصر الأخلاقى فى ميزان الله تعالى .

المحتوى التربوى :

بينما يسأل الكفار فى شك ويجابون فى جزم ، يخيل السياق القرآنى كأن هذا اليوم الذى يسألون عنه قد جاء ، والموعد الذى يشكون فيه قد حان ، وكأنما هم واجهوه الآن ، فكان فيه ما كان ، فقد رأوه قريبا مواجها لهم حاضراً أمامهم دون توقع ودون تمهيد ، فسيئت وجوههم ، وبدا فيها الاستياء ، ووجه إليهم التأنيب ، فهذا اليوم حاضر قريب ، وهو الذى كنتم تدعون أنه لن يكون .

ولقد كانوا يتربصون بالنبى ﷺ والحفنة المؤمنة التى معه أن يهلكوا فيستريحوا منهم ، وكانوا يتواصون بينهم بالصبر عليه حتى يوافيه الأجل ، وهنا أمام مشهد الحشر والجزاء يأتى سؤال يردهم إلى تدبر حالهم ، والتفكير فى شأنهم وهو الأولى ، فما ينفعهم أن تتحقق أمانيهم فيهلك الله النبى ومن معه ، كما لا ينقذهم بطبيعة الحال أن يرحم الله نبيه ومن معه ، والله باق لا يموت وهو

الذى ذرأهم فى الأرض وإليه تحشرون ، ولكنه لا يقول لهم : فمن يجيركم من عذاب أليم ؟ ولا ينص على أنهم كافرون ، إنما يلوح لهم بالعذاب الذى ينتظر الكافرين وهو أسلوب فى الدعوة حكيم ، يخوفهم من ناحية ، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية .

ثم يترقى من هذه التسوية بين الأمرين إلى تقرير موقف المؤمنين من ربهم وثقتهم به وتوكلهم عليه ، مع التلميح إلى اطمئنانهم لإيمانهم ، وثقتهم بهداهم ، وبأن الكافرين فى ضلال مبين ، وذكر صفة الرحمن يشير إلى رحمته العميقة الكبيرة برسوله والمؤمنين معه ، فهو لن يهلكهم كما يتمنى الكافرون أو كما يدعون ، ويوجه النبى ﷺ إلى إبراز الصلة التى تربطهم بربهم الرحمن ؛ صلة الإيمان وصلة التوكل ، ويأتى التهديد الذى من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود ، ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم مخافة أن يكونوا هم الضالين ، وأخيراً يلمح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأول ، وهو الماء ، وهى لمسة قريبة فى حياتهم إن كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكون فيه ، والملك بيد الله فكيف لو توجهت إرادته إلى حرمانهم مصدر الحياة القريب ، ثم يدعهم يتدبرون ما يكون لو أذن الله بوقوع هذا المحذور .

سورة القلم

يقسم الله ـ سبحانه ، بنون ، وبالقلم ، وبالكتابة ، والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم ، والكتابة ، فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيه إليها ، فى وسط الأمة التى لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة ، فى الوقت الذى كان دورها المقدر لها فى علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها ؛ لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة ، وما من شك أن الكتابة عنصر أساس فى النهوض بهذه المهمة الكبرى .

ثم يثبت نعمة الله على نبيه ، فى تعبير يوحى بالقربة والمودة حين يضيفه سبحانه إلى ذاته ، وينفى تلك الصفة المفتريات التى لا تجتمع مع نعمة الله على عبد نسبه إليه وقربه واصطفاه ، فكيف تجتمع صفة الجنون مع هذا التكريم العلى ، وإن لعبده ﷺ لأجراً دائما موصولا لا ينقطع ولا ينتهى ، وهو إيناس وتسرية وتعويض فائض غامر عن كل حرمان وعن كل جفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون ، ثم تجىء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم بأنه ﷺ على خلق عظيم ، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبى الكريم ، ويعجز كل قلم ، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود ، وهى شهادة من الله فى ميزان الله ، لعبد الله ، ومدلول الخلق العظيم هو ما عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ، وإن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقى فى ميزان الله وفى منهجه الذى جاء به هذا النبى الكريم .

وبعد هذا الثناء الكريم على عبده يطمئنه إلى غده مع المشركين الذين رموه بذلك البهت اللئيم ، ويهددهم بافتضاح أمرهم وانكشاف بطلانهم وضلالهم المبين ، وهذا الوعد من الله يشير

إلى أن الغد سيكشف عن حقيقة النبى وحقيقة مكذبيه ، ويثبت أيهم الممتحن بما هو فيه ، أو أيهم الضال فيما يدعيه ويطمئنه إلى أن رب هو الذى أوحى إليه ، فهو يعلم أنه هو المهتدى ومن معه ، ويعلم الضال ، وفى هذا ما يطمئنه وما يقلق أعداءه ، وما يبعث فى قلوبهم التوجس القلق لما سيجىء .

ثم يكشف الله عن حقيقة حالهم ، وحقيقة مشاعرهم ، وهم يخاصمونه ويجادلونه فى الحق الذى معه ، ويرمونه بما يرمونه وهم مزعزعو العقيدة فيما لديهم من تصورات الجاهلية التى يتظاهرون بالتصميم عليها ، إنهم على استعداد للتخلى عن الكثير منها فى مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه ، على استعداد أن يدهنوا ويلينوا ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر لكى يدهن هو لهم ويلين ، فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق ، وإنما هم أصحاب ظواهر يهمهم أن يستروها ، فهى المساومة إذن ، والالتقاء فى منتصف الطريق كما يفعلون فى التجارة ، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير ، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شىء منها ؛ لأن الصغير منها كالكبير ، بل ليس فى العقيدة صغير كبير ، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء ، لا يطيع فيها صاحبها أحدا .

ثم يبرز العنصر الأخلاقى مرة أخرى نهى الرسول ﷺ عن إطاعة أحد هؤلاء المكذبين بالذات ، ويصفه بصفاته المزرية المنفرة ، ويتوعده بالإذلال والمهانة ، يصفه هنا بتسع صفات كلها ذميم ؛ فهو حلاف كثير الحلف إلا إنسان غير صادق ، وهو مهين لا يحترم نفسه ، ويحترم الناس قوله ، وهو هماز يعيب الناس بالقول والإشارة فى حضورهم أوفى غيبتهم سواء ، وهو يمشى بين الناس بما يفسد قلوبهم ، ويقطع صلاتهم ، وهو يمنع الخير عن نفسه وعن غيره ، ولقد كان يمنع الإيمان وهو جماع الخير ، وهو متجاوز للحق والعدل إطلاقا ، وهو أثيم يرتكب المعاصى ، وهو بعد هذا كله غليظ جافى الجموع المنوع ، وهو الدعى فى القوم لا نسب له فيهم أو هو المشهور بين الناس بلؤمه وخبثه وكثرة شروره وهذا أقرب ، ثم يأتى التعقيب بموقفه من آيات الله ، مع التشنيع بهذا الموقف الذى يجزى به نعمة الله عليه بالمال والبنين ، فهو يستهزئ بآيات الله ، ويسخر من رسوله ، ويعتدى على دينه ، وما أقبح الإنسان الذى يقابل بالإساءة الإحسان .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الماء من أهم النعم التى أنعم الله بها على عباده فهو أساس الحياة ، فعلينا أن نحافظ عليه وأن نستعمله بلا إسراف .

٢ ـ قيمة العلم ومكانته السامية فى الإسلام ، وأهمية الكتابة فى نهضة البشرية وتقدمها .

٣ ـ ليس فى العقيدة صغير وكبير ، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء لا يتخلى صاحبها عن شىء منها أبدا .

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾
٥٦٥

معانى الكلمات :

سنسمه على الخرطوم : سنجعل علامة على أنفه .

بلونا : امتحنا .

ليصرمنها : ليقطعن ثمارها .

طائف : بلاء وعذاب .

كالصريم : كالليل الأسود .

صارمين : قاصدين قطعها .

على حرد : على انفراد عن المساكين .

زعيم : كفيل .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على قصة أصحاب الجنة .

٢ ـ أن نعلم أن الابتلاء يكون بالسراء والضراء .

٣ ـ أن نعلم أن المجرمين لا يساوون المؤمنين يوم القيامة .

المحتوى التربوى :

يجىء التهديد من الجبار القهار:يلمس فى نفس الوليد موضع الاختيال والفخر بالمال والبنين، كما لمس وصفه من قبل موضع الاختيال بمكانته ونسبه ، ويسمع وعد الله القاطع ، والتهديد بوسمه على الخرطوم يحوى نوعين من الإذلال والتحقير ، الأول : الوسم كما يوسم العبد ، والثانى : جعل أنفه خرطوما كخرطوم الخنزير .

وبمناسبة الإشارة إلى المال والبنين ، والبطر الذى يبطره المكذبون ، يضرب لهم مثلا بقصة يبدو أنها كانت معروفة عندهم ، شائعة بينهم ، ويذكرهم فيها بعاقبة البطر بالنعمة ، ومنع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين ، ويشعرهم أن ما بين أيديهم من نعم المال والبنين ، إنما هو ابتلاء لهم كما ابتلى أصحاب هذه القصة ، وأن له ما بعده ، وأنهم غير متروكين لما هم فيه ، وهذه القصة

قد تكون متداولة ومعروفة ، ولكن السياق القرآنى يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته ، ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده .

ومن خلال نصوصها وحركاتها نلمح مجموعة من الناس ساذجة بدائية أشبه فى تفكيرها وتصورها وحركتها بأهل الريف البسطاء السذج ، ونحاول أن نرى القصة كما هى فى سياقها القرآنى ، فنرى أصحاب الجنة وهم يبيتون فى شأنها أمراً ، لقد كان للمساكين حظ من ثمرة هذه الجنة على أيام صاحبها الطيب الصالح ، ولكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمرها الآن ، وأن يحرموا المساكين حظهم ، وقرَّ رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر ، دون أن يستثنوا منه شيئا للمساكين ، وأقسموا على هذا وعقدوا النية عليه ، وباتوا بهذا الشر فيما اعتزموه ، وهم لا يشعرون أن الله ساهر لا ينام كما ينامون ، وهو يدبر لهم غير ما يدبرون جزاء على ما بيتوا من بطر بالنعمة ومنع للخير ، وبخل بنصيب المساكين المعلوم ، إن هناك مفاجأة تتم فى خفية ، فقد نزل على جنتهم بلاء من عند الله وأصابها آفة سماوية بالليل وهم غافلون .

وندع الجنة وما ألم بها مؤقتا لننظر كيف يصنع المبيتون الماكرون ، فها هم أولاء يصحون مبكرين كما دبروا ، وينادى بعضهم بعضا ويوصى بعضهم بعضا ، ويحمس بعضهم بعضا ، ثم يمضى السياق فى السخرية منهم فيصورهم منطلقين يتحدثون فى خفوت ، زيادة فى إحكام التدبير ، ليجنوا الثمر كله لهم ، ويحرموا منه المساكين ، وكانما نحن الذين نسمع القرآن أو نقرؤه نعلم مالا يعلمه أصحاب الجنة من أمرها ، أجل فقد شهدنا تلك اليد الخفية اللطيفة تمتد إليها فى الظلام فتذهب بثمرها كله ، ورأيناها كأنما هى مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفى الرهيب ، فلنمسك أنفاسنا إذن ، لنرى كيف يصنع الماكرون المبيتون .

وما يزال السياق يسخر من الماكرين المبيتين ، وقد غدوا على المنع والحرمان قادرين ، حرمان أنفسهم على أقل تقدير ، وهاهم أولاء يفاجأون ، فلننطلق مع السياق ساخرين ونحن نشهدهم مفجوئين ، ما هذه جنتنا الموقرة بالثمار فقد ضللنا إليها الطريق ، ولكنهم يعودون فيتأكدون أنها هى وأنهم لا حظ لهم ولا نصيب ، وهذا هو الخبر اليقين ، والآن وقد حاقت بهم عاقبة المكر والتبييت ، وعاقبة البطر والمنع ، يتقدم أوسطهم وأعقلهم وأصلحهم ، ويبدو أنه كان له رأى غير رأيهم ولكنه تابعهم عندما خالفوا ، ولم يصر على الحق الذى رآه فناله الحرمان كما نالهم ، ولكنه يذكرهم ما كان من نصحه وتوجيهه وأمرهم بتسبيح الله وشكره على نعمائه ، والآن فقط يسمعون للناصح بعد فوات الأوان .

وكما يتنصل كل شريك من التبعية عندما تسوء العاقبة ، ويتوجه باللوم إلى الآخرين ، هاهم أولاء يصنعون ، ثم هاهم أولا يتركون التلاوم ليعترفوا جميعا بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة ، عسى أن يغفر الله لهم ، ويعوضهم من الجنة الضائعة على مذبح البطر والمنع والكيد والتدبير ، وقبل أن يسدل السياق الستار نسمع التعقيب ، بأن عذاب من خالف أمر الله هكذا ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرا ، وهذه

عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق ، والمتقون الحذرون لهم عند ربهم جنات النعيم ، وهو التقابل فى العاقبة ، كما أنه التقابل فى المسلك والحقيقة ، تقابل النقيضين اللذين اختلفت بهما الطريق ، فاختلفت بهما خاتمة الطريق .

وعند هاتين الخاتمتين يدخل معهم فى جدل لا تعقيد فيه كذلك ولا تركيب ، ويتحداهم ويحرجهم بالسؤال ، ويهددهم فى الآخرة بمشهد رهيب ، وفى الدين بحرب من العزيز الجبار القوى الشديد ، والسؤال الاستنكارى الأول : أفنساوى بين هؤلاء وهؤلاء فى الجزاء ؟ وهو سؤال ليس له إلا جواب واحد لا يكون ، ويجىء السؤال الاستنكارى الآخر : ماذا بكم ؟ وعلام تبنون أحكامكم ؟ وكيف تزنون القيم والأقدار ؟ حتى يستوى فى ميزانكم وحكمكم من يسلمون ومن يجرمون ؟ !

ثم ينتقل إلى التهكم بهم والسخرية منهم فيسألهم : إن كان لهم كتاب يدرسونه هو الذى يستمدون منه مثل ذلك الحكم الذى لا يقبله عقل ولا عدل ، إنه كتاب مضحك يوافق هواهم فلهم ما يتخيرون من الأحكام وما يشتهون ، وهو لا يرتكن إلى حق ولا إلى عدل ، ولا إلى معقول أو معروف ، أم لهم مواثيق على الله ، سارية إلى يوم القيامة ، مقتضاها أن لهم ما يحكمون ، وما يختارون وفق ما يشتهون ، سلهم من منهم المتعهد بأن لهم على الله ما يشاؤون ، وهم كانوا يشركون بالله، ولكن التعبير يضيف الشركاء إليهم لا لله، ويتجاهل أن هناك شركاء، ويتحداهم أن يدعوا شركاءهم إن كانوا صادقين ، ولكن متى يدعونهم ؟

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع ، ويقفهم وجها لوجه أمام هذا المشهد كأنه حاضر اللحظة ، وكأنه يتحداهم فيه أن يأتوا بشركائهم المزعومين ، وهذا اليوم حقيقة حاضرة فى علم الله لا تتقيد فى علمه بزمن ، واستحضارها للمخاطبين على هذا النحو يجعل وقعها عميقا حاضراً فى النفوس على طريقة القرآن الكريم .

والكشف عن الساق كناية عن الشدة والكرب ، فهو يوم القيامة الذى يشمر فيه عن الساعد ويكشف فيه عن الساق ، ويشتد الكرب والضيق ، ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكون السجود ؛ إما لأن وقته قد فات ، وإما لأنهم فى موضع آخر يكونون وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة منهم ، وهو تعبير يشى بالكرب والعجز والتحدى المخيف .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ فى قصص القرآن عظات وعبر، ومن هذه القصص قصة أصحاب الجنة من أهل صنعاء .

٢ ـ ذكر الله ـ تعالى ـ مطلوب فى جميع الأحوال ، حتى لا يخرج الإنسان عن طاعة ربه .

٣ ـ عذاب الدنيا لا يمنع وقوع العذاب فى الآخرة .

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٧

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

معانى الكلمات :

خاشعة : ذليلة منكسرة .

ترهقهم ذلة : يغشاهم ذل وخسران .

سنستدرجهم : سنريهم من العذاب حتى نوقعهم فيه .

مغرم : غرامة ذلك الأجر .

مكظوم : مملوء غيظا .

يزلقونك : يهلكونك بأعينهم .

صرصر عاتية : شديدة قارسة .

أعجاز نخل خاوية : جذوع نخل بلا رؤوس .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على سنة الحرب بين الله وأعدائه والمخدوعين .

٢ ـ أن نعلم أن مشقة الدعوة الحقيقية هى مشقة الصبر لحكم الله .

٣ ـ- أن نعلم حال المكذبين وما نالهم من الهول .

المحتوى التربوى :

يكمل السياق رسم هيئة هؤلاء المتكبرين المتبجحين ، والأبصار الخاشعة والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة ، وبينما هم فى هذا الموقف المرهق الذليل ، يذكرهم بما جرهم إليه من إعراض واستكبار، وامتنعوا عن السجود فى الدنيا وهم قادرون ، فكانوا يأبون ويستكبرون .. فهم الآن فى ذلك المشهد المرهق الذليل والدنيا وراءهم وهم الان يدعون إلى السجود فلا يستطيعون !

وبينما هم فى هذا الكرب ، يجيئهم التهديد الرعيب الذى يهد القلوب ، وهو تهديد مزلزل والجبار القهار القوى المتين يقول للرسول ﷺ : خل بينى وبين من يكذب بهذا الحديث ، وذرنى لحربه فأنا به كفيل ، ومن هو هذا الذى يكذب بهذا الحديث ؟ إنه ذلك المخلوق الصغير الهزيل

المسكين الضعيف ، هذه النملة المضعوفة ، بل هذه الهباءة المنثورة ، بل هذا العدم الذى لا يغنى شيئا أمام جبروت الجبار القهار العظيم ، فيا محمد ، خل بينى وبين هذا المخلوق ، واسترح أنت ومن معك من المؤمنين ، فالحرب معى لا معك ولا مع المؤمنين ، الحرب معى وهذا المخلوق عدوى ، وأنا سأتولى أمره فدعه لى ، وذرنى معه ، واذهب أنت ومن معك فاستريحوا .

ثم يكشف لهم الجبار القهار عن خطة الحرب مع هذا المخلوق الهزيل الصغير الضعيف ، وإن شأن المكذبين وأهل الأرض أجمعين لأهون وأصغر من أن يدبر الله لهم هذه التدابير ، ولكنه سبحانه يحذرهم نفسه ليدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان ، وليس أكبر من التحذير وكشف الاستدراج والتدبير عدلا ولا رحمة ، والله سبحانه يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عدله ورحمته فى هذا التحذير وذلك النذير ، وهم بعد ذلك وما يختارون لأنفسهم ، إنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، ويملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

وفى ظل مشهد القيامة المكروب وظل هذا التهديد المرهوب يكمل الجدل والتحدى ويخاطب الرسول ﷺ فى تعجيب من موقفهم : أتسألهم أجراً على ما أتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحق ، فهم من ثقل ذلك أداء ذلك الأجر مثقلون ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا الدخول فيما دعوتهم إليه، أم يعلمون الغيب فهم يكتبون منا ما يحكمون به، فيجادلونك بما فيه، وإذا كان هذا ولا ذاك فما لهم يقفون هذا الموقف الغريب المريب ؟ !

بهذا يخلى الله النبى ﷺ والمؤمنين من المعركة بين الإيمان والكفر وبين الحق والباطل ، فهى معركته سبحانه وهى حربه التى يتولاها بذاته ، وهى حقيقة تسكب الطمأنينة فى قلب المؤمن فى حالتى قوته وضعفه على السواء ما دام يخلص قلبه لله ويتوكل فى جهاده على الله ، كما أنها حقيقة تفزع قلب العدو ، سواء كان المؤمن أمامه فى حالة ضعف أم فى حالة قوة ، فليس المؤمن هو الذى ينازله ، إنما هو الله الذى يتولى المعركة بقوته وجبروته .

وأمام هذه الحقيقة يوجه الله نبيه ﷺ إلى الصبر ، الصبر على تكاليف الرسالة ، والصبر على التواءات النفوس ، والصبر على الأذى والتكذيب ، الصبر حتى يحكم الله فى الوقت المقدر كما يريد،ويذكره بتجربة أخ له من قبل ضاق صدره بهذه التكاليف وهو يونس عليه السلام صاحب الحوت، فلولا أن تداركته نعمة الله لنبذ وهو مذموم ، مذموم من ربه على فعلته وقلة صبره ، وتصرفه فى شأن نفسه قبل أن يأذن الله له ، وقبل الله تسبيحه واعترافه وندمه ، وعلم منه ما يستحق عليه النعمة والاجتباء ، وجعله من الصالحين لمقام النبوة والرسالة ، ومشقة الدعوة الحقيقة هى مشقة الصبر لحكم الله حتى يأتى موعده ، فى الوقت الذى يريده بحكمته .

وفى الختام يرسم مشهد الكافرين وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم فى غيظ عنيف ، وحسد عميق ينسكب فى نظرات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه، ويصفها القرآن بما لا مزيد عليه،

فهم من شدة تحديقهم ونظرهم بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك ، وبين تعالى أن هذا النظر كان يشتد منهم فى حال قراءة النبى ﷺ للقرآن ، ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : إنه لمجنون لمجيئه بالقرآن ، والله يعقب بأنه ذكر ، والذكر لا يقوله مجنون ، ولا يحمله مجنون ، وصدق الله وكذب المفترون .

سورة الحاقة

هذه السورة بجملتها تلقى فى الحس بكل قوة وعمق إحساسا واحدا بمعنى واحد وهو أن هذا الأمر ، أمر الدين والعقيدة جد خالص حازم جازم ، جد كله لا هزل فيه ، ولا مجال فيه للهزل ، جد فى الدنيا وجد فى الآخرة ، وجد فى ميزان الله وحسابه ، والقيامة ومشاهدها وأحداثها تشغل معظم هذه السورة ، ومن ثم تبدأ هذه السورة باسمها ، وتسمى به ، وهم اسم مختار بجرسه ومعناه، فالحاقة هى التى تحق فتقع ، أو تحق فتنزل بحكمها على الناس ، أو تحق فيكون فيها الحق ، ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام والتجهيل ، ، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك ، فأمر الحاقة أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك .

ويبدأ الحديث عن المكذبين ، وما نالهم من الهول ، فقد كذبت بالقارعة وهو اسم جديد للحاقة ـ ثمود وعاد فلننظر كيف كانت عاقبة التكذيب ؛ فثمود قد أسكتتهم الصيحة ، وأسكتتهم الزلزلة ، وأما عاد فيفصل فى أمر نكبتها ويطيل ، فقد استمرت وقعتها سبع ليال وثمانية أيام حسوما على حين كانت وقعة ثمود خاطفة ، صيحة واحدة طاغية ، والريح الصرصر الشديد الباردة ، واللفظ ذاته فيه صرصرة عاتية لتناسب عتو عاد وجبروتها المحكى فى القرآن ، وكانوا أشداء بطاشين جبارين .

والتعبير يرسم مشهد العاصفة المزمجرة المدمرة المستمرة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة سبع ليال وثمانية أيام ، ثم يعرض المشهد بعدها شاخصا ، والمنظر معروض تراه ، والتعبير يلمح به على الحس حتى يتملاه ، فهم مصروعون مجدلون متناثرون كأنهم قوائم نخل إذا خرت بلا أغصان ، فهل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم ؟ بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلقا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ وجوب التمسك بالحق ، وعدم المساومة عليه .

٢ ـ لا يجوز أن ننخدع بإمهال الله للظالمين ،أو إعطائهم النعم استدراجا لهم ليقعوا فى العذاب الأليم .

٣ ـ يجب أن نتعظ بما حدث للسابقين ، حتى لا يصيبنا ما أصابهم من هلاك فى الدنيا وعذاب يوم القيامة .